

تفسير البحر المحيط

@ 484 من قضية زكريا ، لأن قضية زكريا حدث منها الولد بين رجل وامرأة ، وهنا حدث من امرأة بغير واسطة بشر ، ولذلك قالت : { وَلَمْ يَمْسَسْنِي بِشَرِّ } . . .
وقيل : استفهمت عن الكيفية ، كما سأل زكريا عن الكيفية ، تقديره : هل يكون ذلك على جري العادة بتقدم وطء ؟ أم بامر من قدرة الله ؟ . . .

وقال الانباري : لما خاطبها جبريل طنته آدمياً يريد بها سوءاً ، ولهذا قالت : { إِنْ زَيْءُؤُذُ بِالرَّحْمَانِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقْضِي } فلما بشرها لم تتيقن صحة قوله لأنها لم تعلم أنه ملك ، فقال : { رَبِّ أَنْزِلْ لِي وَلَدٌ } ؟ .

ومن ذهب إلى أن قولها : رب ، وقول زكريا : رب ، إنما هو نداء لجبريل لما بشرهما ، ومعناه : يا سيدي فقد أبعد وقال الزمخشري : هو من بدع التفسير ، و : يكون ، يحتمل أن تكون الناقصة والتامة ، كما سبق في قصة زكريا . و : لم يمسنني بشر ، جملة حالية ، والمسيس هنا كناية عن الوطاء ، وهذا نفى عام أن يكون باشرها أحد بأي نوع كان من تزوج أو غيره ، والبشر يطلق على الواحد والجمع ، والمراد هنا النفى العام ، وسمي بشراً لظهور بشرته وهو جلده ، وبشرت الأديم قشرت وجهه ، وأبشرت الأرض أخرجت نباتها ، وتباشير الصبح أول ما يبدو من نوره . . .

{ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يُخْلِقُ مَا يَشَاءُ } تقدم الكلام في نظيرها في قصة زكريا ، إلا أن في قصته { يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ } من حيث إن أمر زكريا داخل في الإمكان العادي الذي يتعارف ، وإن قل ، وفي قصة مريم : يخلق ، لأنه لا يتعارف مثله ، وهو وجود ولد من غير والد ، فهو إيجاد واختراع من غير سبب عادي ، فلذلك جاء بلفظ : يخلق ، الدال على هذا المعنى . . .

وقد ألغز بعض العرب المستشهد بكلامها فقال : % (ألا رب مولود وليس له أب % .
وذي ولد لم يلد له أبوان يريد : عيسى وآدم . . .

. %)

{ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّهُ يَخُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } تقدم الكلام على هذه الجملة في البقرة : لغةً وتفسيراً وقراءةً وإعراباً ، فأغنى ذلك عن إعادته . . .
{ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ } الكتاب : هنا مصدر ، أي : يعلمه الخط باليد ، قاله ابن عباس ، وابن جريج وجماعة وقيل : الكتاب هو

كتاب غير معلوم ، علمه ا[عيسى مع التوراة والإنجيل وقيل : كتب ا[المنزلة . والألف واللام للجنس وقيل : هو التوراة والإنجيل . .

قالوا : وتكون الواو في : والتوراة ، مقحمة ، والكتاب عبار عن المكتوب ، وتعليمه إياها قيل : بالإلهام ، وقيل : بالوحي ، وقيل : بالتوفيق والهداية للتعلم والحكمة . تقدم تفسيرها ، وفسرت هنا : بسنن الأنبياء ، وبما شرعه من الدين ، وبالنبوة ، وبالصواب في القول والعمل والعقل ، وبأنواع العلم . وبمجموع ما تقدم أقوال سبعة . . روي أن عيسى كان يستظهر التوراة ، ويقال لم يحفظها عن ظهر قلب غير : موسى ، ويوشع ، وعزير ، وعيسى . .

وذكر الإنجيل لمريم وهو لم ينزل بعد لأنه كان كتاباً مذكوراً عند الأنبياء والعلماء ، وأنه سينزل . .

وقرأ نافع ، وعاصم ، ويعقوب ، وسهل : ويعلمه ، بالياء وقرأ الباقون : بالنون ، وعلى كلتا القراءتين هو معطوف على الجملة المقولة ، وذلك إن قوله : قال كذلك ، الضمير في : قال ، عائد على الرب ، والجملة بعده هي المقولة ، وسواء كان لفظ ا[مبتدأ ، وخبره فيما قبله ، لزم مبتدأ وخبره يخلق على ما مر إعرابه في : { قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يُفْعَلُ مَا يَشَاءُ } فيكون هذا من المقول لمريم ، أم على سبيل الاغتراب والتبشير بهذا الولد الذي يوجده ا[منها ، ويجوز أن يكون معطوفاً على : يخلق ، سواء كانت خبراً عن ا[أم تفسيراً لما قبلها ، إذا أعربت لفظ : ا[مبتدأ وما قبله الخبر ، وهذا ظاهر كله على قراءة الياء .